

ليهود العراق هو ثمرة الاضطراب الذي يؤدي اليه اقتباس المبادئ الغربية وما زال من الممكن ان يحدث شبيهه لذلك مرة اخرى في المستقبل .

ما هي الاعتراضات التي يمكن ان توجه الى هذا الرأي ؟ انها في عبارات المؤلف : اولا « التنافس بين القوى » . ثانيا « ان الاوروبيين يرفضون ذلك باعتباره طريقا امبرياليا وغير اخلاقي » . و اخيرا « فقدان الاعصاب والاخلاق الذي يغري باستخدام القوة والنفوذ دون مسؤولية » اما معارضة شعوب المنطقة فلا ذكر لها ضمن الاعتراضات التي تثار ضد عودة الاستعمار في شكله القديم الى المنطقة .

الاعتراضات التي يقدمها تدوري هي في حقيقة الامر اغراءات — انه يدعو القوى العظمى للتسويق فيما بينها ، ولترك الرومانسية السياسية والتخلي عن الانهزامية وممارسة الردع بأعصاب هادئة وباردة لان هذه الشعوب قد اعتادت خلال تاريخها على مثل هذا النوع من الحكم ، ولقد اصابها المرض والازمة لان بعض الجهلة والمتسرعين والرومانسيين حاولوا معاملتها بأسلوب من الحكم لا تعرفه . وهنا يواصل المؤلف الخط الذي تبناه في جميع هذه الدراسات فهو اذ يشير الى حركات التحرر في مختلف البلاد العربية يخلص الى ان الذين كانوا من بين البريطانيين يأملون في معونة زعماء عرب كانوا في وهم كشفت عنه الايام .

الصديق المخلص الحقيقي للنفوذ الاستعماري في المنطقة كان الوجود الصهيوني في فلسطين .

هنا نستطيع ان نجيب على السؤال الذي طرحناه من قبل عما اذا كان للحل الاستعماري في صورته التسلطية ، الذي يطرحه المؤلف لمعالجة مشاكل المنطقة ، فرصة لان يطبق فيها ؟ الاجابة : نعم . وما هي الوسيلة ؟ ذراع الغرب الغليظة والرادعة — اسرائيل أليست قادرة على توجيه الحملات العسكرية على النمط التقليدي القديم (الإسباني البرتغالي البريطاني الفرنسي الأمريكي مع الهنود الحمر) فغلبا السكان المحليين ذمرا يضطروهم الى الهرب وتمزق الجيوش البدائية بأدوات الحرب والمعرفة الحديثة .

أليست قادرة على احتلال الاراضي وممارسة سياسة الردع خالصة صريحة .

انه لم يجد ثمة تعارضا يحتاج الى حل او توفيق ومن هنا فإن اختياره ليكون اول معتقد بريطاني في عهد الانتداب لم يحدث الا لانه كان معترفا به كخصم مختصم للصهيونية ، ويقول الكاتب ان سجل اعمال صموئيل في هذا المنصب يمكن ان يقدم الدليل على سلامة اختيار لويد جورج له والواقع ان هذا الاخير كان بدوره متعاطفا مع الصهيونية فهو صاحب وعد بلفور وعلى أساس هذا الوعد كانت بريطانيا تعلن أنها الاحق في أن تعهد لها عصبة الامم بالانتداب في فلسطين ، وهل ثمة ما هو افضل من متعاطف مع الصهيونية لينهض بتنفيذ سياسة صهيونية .

اما هربرت صموئيل فقد كتب في مذكراته ان الحكومة عينته في منصبه وهي على معرفة كاملة بعواطفه الصهيونية — بل بسبب هذه العواطف — ولكنه يستدرك فيقول انه لم يكن يعمل باسم الصهيونيين ولكن باسم الملك (!) .

ويورد الكاتب مظاهر الصراع التي كانت تقوم بين رجال الحكم البريطاني في المنطقة بين اولئك الذين كانوا يعتبرون ان الموقف في صف العرب هو الذي يحقق المصالح الإنجليزية وبين الاخرين — هربرت صموئيل بالذات — الذي كان يرى الوجود الصهيوني هو التضامن الحقيقي لهذه المصالح .

اذن فمقارنة بسيطة بين مثل الفكرة القومية وسط شعوب المنطقة الاصليين وتجاحها عند تطبيقها بواسطة الجماعات الصهيونية الواغدة — من خلال هذه المقارنة يظهر بجلاء الفارق الحضاري بين طريقي المواجهة .

والعلاج ؟ يعود الكاتب الى الموقف الذي اتخذته من النضال الوطني المصري فهو يقول دون تحفظ « ان الوسيلة الوحيدة لاجراء اصلاحات على النمط الاوروبي ، واذ كان ثمة دول سيتم اقامتها (لسنا في حاجة الى كثير من العناء لتتذكر ان الدولة المطروح اقامتها على أساس قومي في المنطقة هي الخاصة بشعب فلسطين) — فليس الا طريق واحد لذلك ، به تصبح هذه العمليات مفيدة ولا تؤدي الى كوارث ، على اوروبا نفسها ان تدير هذه الدول وان تضمن لها النجاح » . ويبيدي بعض الاعتراضات التي يمكن ان تثار في وجه هذا الرأي ولكنه يعود فينذر « ان ما حدث للارمن او